ARID Journals

ARID International Journal of Social Sciences and Humanities (AIJSSH)

Journal home page: http://arid.my/j/aijssh

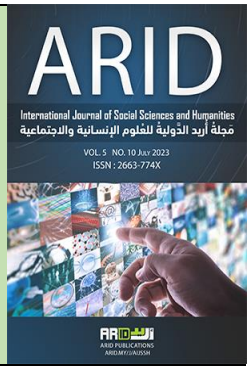

مَجلةُ أُريد الدَّوليةُ للعُلومِ الإنسانية والاجتماعية

العدد العاشر، المجلد الخامس، تموز 2023 م

METHODS OF THE QUR'AN IN DEALING WITH DISPUTES AMONG MUSLIMS REGARDING DOGMAS

Muhammad Ahmad*1 Dr. Kabir Adam Muhammad 2

Dr. Mohd A' Tarahim Bin Mohd Razali 3

*1 University Sultan Zainal Abidin, Malaysia.
2 Nasarawa State University, Keffi, Nigeria.
3 University Sultan Zainal Abidin, Malaysia

أساليب القرآن في معالجة الخلاف بين المسلمين في العقديات

محمد أحمد*1
جامعة سلطان زين العابدين، ماليزيا

دكتور كبير آدم محمد 2
جامعة ولاية نصراوا، كيفي، نيجيريا

دكتور محمد التراحيم محمد رزالي 3
جامعة سلطان زين العابدين، ماليزيا

Ibnahmad2011@gmail.com
arid.my/0004-4784
https://doi.org/10.36772/arid.aijssh.2023.5103

ARTICLE INFO

Article history:
Received 09/11/2022
Received in revised form 17/12/2022
Accepted 07/2/2023
Available online 15/7/2023
https://doi.org/10.36772/arid.aijssh.2023.5103

ABSTRACT

Allah created the two weighty things to worship Him alone without partner, and He sent prophets and messengers to them to teach them how to worship Him in a correct manner that brings them closer to Him, Glory be to Him. The first thing that each of the Messengers called his people to was the unification of God Almighty and His singling out and then dealing with disagreement and discord between them by all means. Here lies the problematic of this research, as many Muslims in the contemporary reality neglected to adhere to the unity on which Islam was founded since the era of the Prophet, and the dispersal of Muslims into groups and parties that lost their strength, and weakened their strength and their word. And the disagreement among Muslims regarding beliefs in particular, as well as the methods that the Messengers adhered to in calling their people to unity and non-discrimination. The researcher will use the inductive method in writing this research by tracing the Qur'anic verses and the Prophetic hadiths that show the extent of Islam's interest in the unity of the Islamic nation, especially in dogmas. Then the researcher brings these texts down to the contemporary reality to find out the problems and obstacles that the Islamic nation faces in this aspect, and one of the most important findings of the researcher is that Islam cares a lot about the unity of the nation so that it united all Muslims in the worship of one Lord, and the reception of one Qibla, and He revealed to them one book in one language, and sent to them one Messenger, as He commanded them to perform many of the rituals in groups, not individually, and that one of the biggest problems that leads to disunity and partisanship is the blind imitation of the leaders of the Islamic sects who fan the fire of disagreement among Muslims for special reasons.

Keywords: Methods, Al-Quran, Dealing with ,Disputes ,Dogmas.

الملخص

لقد أوجد الله الثقلين لعبادته وحده لا شريك له، وأرسل إليهم الأنبياء والرسل ليعلموهم كيف يعبدونه بطريقة صحيحة التي تقربهم إليه سبحانه وتعالى، وأول ما دعا كلٌ من الرسل قومه إليه هو توحيد الله سبحانه وتعالى وإفراده ثم معالجة الخلاف والشقاق بينهم بجميع الوسائل، فهنا تكمن إشكالية هذا البحث حيث تغافل كثير من المسلمين في الواقع المعاصر عن التمسك بالوحدة التي قام على أسسها الإسلام منذ عصر النبوة، وتشتت المسلمون إلى فرق وأحزاب التي أذهبت قوتهم، وضعفت قوتهم وكلمتهم، فيهدف هذا البحث إلى إظهار الأساليب التي استعملها القرآن في معالجة الشقاق والخلاف بين المسلمين في العقديات خصوصا، وكذلك الأساليب التي تمسك بها الرسل في دعوة قومهم إلى الوحدة وعدم الفرقة، وسيستخدم الباحث المنهج الاستقرائي في كتابة هذا البحث عن طريق تتبع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي توضح مدى اهتمام الإسلام بوحدة الأمة الإسلامية وخاصة في العقديات، ثم ينزل الباحث هذه النصوص على الواقع المعاصر للوقوف على المشاكل والعقبات التي تواجهها الأمة الإسلامية في هذا الجانب، ومن أهم النتائج التي توصل إليها الباحث أن الإسلام اهتم كثيرا بوحدة الأمة بحيث وحد جميع المسلمين في عبادة رب واحد، واستقبال قبلة واحدة، وأنزل عليهم كتابا واحدا بلغة واحدة، وأرسل إليهم رسولا واحدا، كما أمرهم أن يقوموا بكثير من الشعائر جماعة لا أفرادا، وإن من أكبر المشاكل التي تؤدي إلى التفرق والتحزب هو التقليد الأعمى لرؤساء الفرق الإسلامية الذين يؤججون نار الخلاف بين المسلمين لأسباب خاصة.

الكلمات المفتاحية: أساليب، القرآن، المعالجة، الخلاف، العقديات.

مقدمة البحث

إن حاجة العباد إلى العقيدة فوق كل حاجة، وضرورتهم إليه فوق كل ضرورة لأنه لا حياة للقلوب ولا نعيم ولا طمأنينة إلا بأن تعرف ربها ومعبودها بأسمائه وصفاته وأفعاله، وما يجب له وما ينزه عنه، ويكون مع ذلك كله أحب إليها مما سواه، ويكون سعيها فيما يقربها إليه، وكلما كانت معرفة العبد بربه صحيحة تامة كان أكثر تعظيما واتباعا لشرع الله وأحكامه، وأكثر تقديرا للدار الآخرة، كما أن للعقيدة الإسلامية دور فعال في توحيد كلمة المسلمين ومعالجة الخلاف بينهم، وذلك لأن الله سبحانه وتعالى ذكر في كتابه الكريم الأساليب المختلفة التي استعملها القرآن الكريم في معالجة الخلاف بين المسلمين وخاصة في جانب العقديات التي لا خلاف فيها بين جميع الفرق الإسلامية، ومما يؤكد أهمية هذا الموضوع أن النبي صلى الله عليه وسلم ركز على هذا الجانب في أول الإسلام، فقد وجد الناس مختلفين متنافرين ومتقاتلين فيما بينهم فاستطاع بفضل الله أن يجمعهم كلهم على شيء واحد وهو الاعتصام بحبل الوحدة كما قال الله تعالى: **{وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ} (103)** آل عمران.[1]

منهج البحث.

يستعمل الباحث المنهج الاستقرائي في كتابة هذا البحث، وهو المنهج القائم على حصر كافة الجزئيات والوقائع والنصوص المتعلقة بفكرة واحدة أو موضوع محدد،[2] وذلك عن طريق الرجوع إلى الآيات التي تناولت أساليب القرآن في معالجة الخلاف بين المسلمين في العقيدة، مع الرجوع إلى كتب التفاسير للوقوف على أقوال المفسرين عن الآيات التي تناولت هذا الجانب، والمنهج الاستنباطي: وهو المنهج الذي يبدأ الباحث السير فيه من قضايا ثابتة ومسلم إلى قضايا أخرى تتضمنها وتنتج عنها بالضرورة دون الالتجاء إلى التجربة"،[3] وذلك عن طريق استنباط الأساليب التي استعملها القرآن الكريم لمعالجة مشكلة الخلاف بين المسلمين في العقديات مع مقارنتها بالواقع المعصر.

مشكلة البحث:

تكمن إشكالية هذا البحث في غياب روح الوحدة بين المسلمين وبروز ظاهرة التشرذم والتفرق والذل والخوف والهوان بينهم، مما أدى ذلك إلى عدم قدرتهم على نصر إخوانهم مع أنهم يرونهم يظلمون ويقتلون وأعراضهم منتهكة، فأصبحت هذه المشكلة من أبرز المفردات المتداولة في المجالس والخطب واللقاءات، وقد أشار إلى ذلك كثير من الباحثين منها ما أشار إليه هذا الباحث بقوله: (إن الأمة اليوم في أمس الحاجة إلى أن تتكاتف جهود علمائها وطلابها للدلالة على ما يوحد صفها، ففي توحيد الأمة اشتداد عودها واسترداد مجدها)[4] وقال آخر: (إن معالجة الخلاف بين المسلمين من أعظم معروف يؤمر به وهو من فروض الأعيان اللازمة لكل الأمة علمائها وولاتها وعوامها، بل هي قاعدة لا يتم الإيمان إلا بها)[5] فلذلك يجب البحث عن أسباب هذا التفرق والاختلافات مع اقتراح الحلول المناسبة لها، حتى تدرك الأمة واقعها وتعود إلى رشدها الأصلي.

أسئلة البحث:

1- ما دور العقيدة الإسلامية في معالجة الخلاف بين المسلمين؟

2- ما هي أسس الإيمان؟ وكيف تساهم في معالجة الخلاف بين المسلمين؟

3- ما دور القرآن الكريم في توحيد الأمة ومعالجة الخلاف والشقاق بينهم؟

أهداف البحث:

1- إبراز دور العقيدة الإسلامية في معالجة الخلاف بين المسلمين.

2- الوقوف على أسس الإيمان، وبيان دورها في معالجة الخلاف بين المسلمين.

3- إبراز دور القرآن الكريم في توحيد الأمة، ومعالجة الخلاف بينهم.

الدراسات السابقة:

الدراسة الأولى: رسالة في الحث على اجتماع كلمة المسلمين وذم التفرق والاختلاف: لعبد الرحمن السعدي.

وهي رسالة صغيرة على شكل الكتاب، عدد صفحاتها ثمانية وأربعون صفحة (48) كتبها الإمام المفسر المشهور عبد الرحمن بن ناصر السعدي، وحققها عبد الله زيد آل مسلم، ونشرت في الرياض، دار التوحيد، المملكة العربية السعودية سنة 2008م.

الدراسة الثانية: وحدة الأمة الإسلامية الأسباب والآثار والمعوقات كما بينها القرآن الكريم.

وهذه رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في جامعة المدينة العالمية، كلية العلوم الإسلامية قسم القرآن الكريم وعلومه، للباحث عبد الغني ادراعو، تحت إشراف الدكتور السيد سيد أحمد محمد نجم. فقد تكونت هذه الرسالة من مقدمة وثلاثة أبواب ثم الخاتمة، فقد كتبت على المنهج الاستقرائي كما بين ذلك الباحث، وتحدث الباحث في المقدمة عن تعريف الأمة الإسلامية وأهمية وحدتها في الإسلام.

الدراسة الثالثة: الوحدة مقصد من أعظم مقاصد الشريعة، حارث الشوكاني

وهذا البحث هو عبارة عن منشور في موقع مأرب برس اليمني، وقد تم نشره 6 من شهر نوفمبر 2010 م.

وقد قسم الباحث هذا المنشور إلى مقدمة وأربعة مباحث، وهي كالآتي:

أما في المقدمة فقد تحدث الباحث عن الوحدة في المنظور القرآني فأشار إلى أنها سنة كونية وسنة ناظمة للحياة البشرية، ومن ثم تصبح الوحدة هي الخطوة الأولى في عملية الإصلاح السياسي وذلك لأنها أهم عوامل بناء المجتمعات والدول والحضارات، كما أن الفرقة وتقسيم المجتمعات إلى شيع وعصبيات هي أخطر عوامل إسقاط الدول والحضارات.

الدراسة الرابعة: ذم الفرقة والاختلاف في الكتاب والسنة، للشيخ عبد الله بن محمد الغنيمان.

وهذا أيضا عبارة عن منشور في مجلة الجامعة الإسلامية وقد تم النشر منذ 2011/08/28م، وتناول الباحث بعض الآيات القرآنية التي تشير إلى ذم التفرق والاختلاف، فأشار إلى أن كثيرا من الآيات تدل على أن الاختلاف والتفرق لا ينفك عن الشرك لما فيه من عبادة الأهواء، واستدل بقول الله تعالى:(مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ) .[6]

الفرق بين الذي سيأتي به الباحث والدراسات السابقة.

1- كثير من الدراسات السابقة ركزت على وحدة الأمة ولم تتعمق في الجانب السلبي وهو تفرق الأمة ومعلوم أن الآيات التي جاءت في ذم الفرقة أكثر عدداً من الآيات التي جاءت في الحث على الجماعة، وذلك لأن الجماعة هي الأصل وملازمتها هو الواجب والمطلوب، أما مفارقة الجماعة فأمر طارئ وحادث وهو مع ذلك أمر خطير وشنيع، فلذلك جاءت الآيات الكثيرة التي تحذر منه وتحمل في ثناياها الوعيد الشديد لمن ترك الجماعة وفارقها ولذلك هذا البحث يركز على أساليب القرآن في معالجة هذا الجانب.

2- أكثر الدراسات السابقة ليست بحوث علمية لذلك يبدو فيها طابع التقصير وعدم استقصاء في ترتيب الآيات، وليس مبنية على شكل البحوث العلمية التي تنطلق من مشكلة وتنتهي بوجود الحلول.

3- كل الدراسات السابقة لم تذكر الأساليب القرآنية في معالجة الخلاف بين المسلمين بل ذكرت بعض المباحث فقط التي تندرج تحت موضوع هذا البحث، أما هذا البحث فإنه يتتبع الأساليب القرآنية في معالجة هذه المشكلة.

4- بعض الدراسات السابقة جمعت بين القرآن والحديث في دراسة مادتها، فأما هذه الدراسة فستكون دراسة قرآنية.

5- معظم الدراسات السابقة لم تقم بربط دراستها بواقع الأمة المعاصر أثناء الدراسة، فأما هذه الدراسة فسوف تعتني كثيرا بربط دراستها بالواقع المعاصر.

6- لم تلتزم أي دراسة من الدراسات السابقة بجمع جميع الآيات القرآنية التي تعالج مشكلة التفرق والخلاف بين المسلمين وهذا ما سيقوم به الباحث في هذه الدراسة.

حدود البحث:

يكتفي هذا البحث بذكر أساليب القرآن الكريم في معالجة الخلاف بين المسلمين في العقديات، مع تنزيل هذه الدراسة على المجتمع النيجيري وخاصة شمال نيجيريا في حدود ثلاثين سنة: (1990م -2020م).

هيكل البحث:

يحتوي هذا البحث على مقدمة وثلاثة مباحث ثم الخاتمة، أما المقدمة؛ فتحتها منهج البحث، إشكالية البحث، أهداف البحث، الدراسات السابقة، حدود البحث، وهيكل البحث.

المبحث الأول: تعريف العقيدة ودورها في معالجة الخلاف بين المسلمين، وتحته ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف العقيدة في اللغة.

المطلب الثاني: تعريف العقيدة في الاصطلاح.

المطلب الثالث: دور العقيدة في معالجة الخلاف بين المسلمين.

المبحث الثاني: الإيمان ودوره في معالجة الخلاف بين المسلمين، وتحته مطلبان:

المطلب الأول: أسس الإيمان.

المطلب الثاني: دور الإيمان في معالجة الخلاف بين المسلمين.

المبحث الثالث: القرآن الكريم ودوره في توحيد الأمة ومعالجة الخلاف بين المسلمين، وتحته ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف القرآن في اللغة.

المطلب الثاني: تعريف القرآن في الاصطلاح.

المطلب الثالث: دور القرآن في معالجة الخلاف بين المسلمين.

أما الخاتمة؛ فتحتها أهم النتائج والتوصيات وقائمة الهوامش والمصادر والمراجع.

المبحث الأول: تعريف العقيدة ودورها في معالجة الخلاف بين المسلمين.

في هذا المبحث يذكر الباحث تعريف العقيدة لغة واصطلاحا ثم يذكر الباحث دور العقيدة الإسلامية في معالجة الخلاف والشقاق بين المسلمين، وكيف استطاع الرسول صلى الله عليه وسلم أن يوحد المسلمين ويجمع شملهم عن طريق العقيدة السليمة، وتحت هذا المبحث ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: تعريف العقيدة في اللغة:

العين والقاف والدال (ع ق د) أصل واحد يدل على شدّ وشدّة وثوق، وإليه ترجع كل فروع الباب، وهو نقيض الحل، وهو يدل على الشدة والوثوق، يقال: عقد الشيء يعقده عقدا وانعقد وتعقد، والمعاقد: هي أماكن العقد، والعقدة: القلادة، والعقد: الخيط الذي ينظم فيه الخرز، وجمعه: عقود وأعقاد.[7]

يقال: عقد البناء، ويقال أيضا: عقدت الحبل أعقده عقدا، وعاقدته مثل: عاهدته، ومنه قول الله تعالى: (أَوْفُوا بِالْعُقُودِ)،[8] أي أوفو بالعهود، ومنه عقد اليمين، مثل قول الله تعالى: (وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ)،[9] ومنه أيضا عقدة النكاح، كما في قوله تعالى: (وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ)،[10] والعقد في البيع هو إيجابه وإبرامه،[11] والعقد أيضا: هو الربط بين أطراف الشيء، ويستعمل ذلك في الأجسام الصلبة، مثل: عقد الحبل وعقد البناء، ثم استعير ذلك للمعاني، مثل: عقد البيع وعقد اليمين وعقد النكاح وغيرها، يقال: عاقدته وعقدته وتعاقدنا.[12]

والذي صرح به أئمة الاشتقاق: أن أصل العقد نقيض الحل، عقده يعقده عقدا وتعقادا، وعقده، وقد انعقد، وتعقد، ثم استعمل في أنواع العقود من البيوعات، والعقود وغيرها، ثم استعمل في التصميم والاعتقاد الجازم.[13]

فبناء على ما تقدم من مادة "عقد" وجميع اشتقاقها في معاجم اللغة تبين للباحث أن كلمة العقيدة في اللغة: تطلق على الأمر الذي يعتقده الإنسان ويعقد عليه ضميره وقلبه، بحيث يكون عنده حكما جازما لا يقبل الشك فيه لدى معتقده، فصار له عقيدة، فكأن الإنسان جمع بين أطراف قلبه وعقد ضميره على معتقده وأحكم وثاقه بالأدلة القاطعة والبراهين الجازمة التي لا تقبل الشك.

المطلب الثاني: تعريف العقيدة في الاصطلاح.

لقد عرف العلماء العقيدة في اصطلاح بتعريفات عديدة منها ما يأتي:

أولا: العقيدة: هي العلم بالأحكام الشرعية المكتسب من الأدلة اليقينية ورد الشبهات وقوادح الأدلة الخلافية.[14]

فهذا التعريف يدل على أن العقيدة لا تبنى على الشك أو الخلاف.

ثانيا: العقيدة هي الأمور التي يجب أن يصدّقها القلب، وتطمئن إليها النفس، من غير أن يمازجها ريب أو شك لدى معتقدها، ويجب أن تكون مطابقة للواقع، فإن لم يصل العلم إلى درجة اليقين الجازم لا يسمى عقيدة.[15]

ثالثا: العقيدة الإسلاميَّة: هي الإيمان الجازم بربوبية الله تعالى وأُلوهيته وأَسمائه وصفاته، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وسائر ما ثَبَتَ من أُمور الغيب، وأصول الدِّين، وما أَجمع عليه السَّلف الصَّالح، والتسليم التام لله تعالى في الأَمر، والحكم، والطاعة، والاتباع لرسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.[16]

رابعا: العقيدة الإسلامية: هي الإيمان الجازم بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وبكل ما جاء في القرآن الكريم، والسنة الصحيحة من أصول الدين، وأموره، وأخباره، وما أجمع عليه السلف الصالح، والتسليم لله تعالى في الحكم، والأمر، والقدر، والشرع، ولرسوله صلى الله عليه وسلم بالطاعة والتحكيم والاتباع.[17]

فكل هذه التعاريف تتوافق مع المفهوم اللغوي لكلمة العقيدة، حيث تدل على العقد والجزم والربط بين أطراف الشيء بدليل قطعي الذي لا يمازجه شك ولا ريب.

إلا أن هذا اللفظ "العقيدة" أو "العقائد" من الألفاظ المولدة حيث إنه لم يرد في القرآن الكريم أو السنة النبوية، وكانت الأئمة يستعملون ما يدل عليه بمصطلحات أخرى في كتبهم ومؤلفاتهم.

فمن الألفاظ التي استعملها الأئمة والسلف الدالة على العقيدة ما يأتي: " التوحيد "و" السنة "و"الشريعة "و" الإيمان "و" أصول الدين أو أصول الديانة".[18]

المطلب الثالث: دور العقيدة في معالجة الخلاف بين المسلمين.

إن للعقيدة الإسلامية دور فعال في معالجة الخلاف والتفرق بين المسلمين، ولا يمكن أن يتوحد صفوف الأمة الإسلامية إلا بالرجوع إلى هذا الأصل المتين.

وحاجة العباد إلى العقيدة فوق كل حاجة، وضرورتهم إليه فوق كل ضرورة لأنه لا حياة للقلوب ولا نعيم ولا طمأنينة إلا بأن تعرف ربها ومعبودها بأسمائه وصفاته وأفعاله، وما يجب له وما ينزه عنه، ويكون مع ذلك كله أحب إليها مما سواه، ويكون سعيها فيما يقربها إليه، وكلما كانت معرفة العبد بربه صحيحة تامة كان أكثر تعظيما واتباعا لشرع الله وأحكامه، وأكثر تقديرا للدار الآخرة، وإذا انطبعت في نفس العبد هذه المعاني الشريفة من العلم بالله وتوحيده ومحبته وخشيته وتعظيم أمره ونهيه، والتصديق بوعده ووعيده، سعد في الدنيا والآخرة، وسعد مجتمعه به، ذلك أن صلاح سلوك الفرد تابع لصلاح عقيدته وسلامة أفكاره، وفساد سلوك الفرد تابع لفساد عقيدته وانحرافها.[19]

لما أرسل الله النبي صلى الله عليه وسلم وجد الناس مختلفين ومتشتتين إلى فرق وأحزاب وقبائل وجماعات وأمم، حتى أدى الأمر إلى التقاتل والتشاجر والتنافر فيما بينهم، فلما أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يوحد صفوفهم ويوحد كلمتهم لم يجمعهم على لغة ولا على بلدة، بل وحدهم على شيء معصوم وهو توحيد الله سبحانه وتعالى، مع أنهم مختلفون فيهم الأبيض والأسود، والغني والفقير، والرئيس والمرؤوس، والسادة والضعفاء، والرجل والمرأة، مع كل ذلك استطاع النبي صلى الله عليه وسلم بمشيئة الله تعالى أن يوحد صفوفهم ويجمع كلمتهم على شيء واحد، ألا وهو التوحيد.

وقد أشار إلى ذلك جعفر بن أبي طالب عندما سأله النجاشي فقال له: " أيها الملك، كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار يأكل القوي منا الضعيف فكنا على ذلك. حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله تعالى لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان".[20]

فهذا يدل على أهمية العقيدة ودورها في توحيد صفوف الناس، وليس هناك شيء يوحد صفوف الأمة في الواقع المعاصر غيرها، وهي دعوة جميع الرسل إلى قومهم كما قال الله تعالى:(وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ).[21]

في هذه الآية الكريمة يخبر الله تعالى بأنه قد بعث في كل أمة رسولا ليأمرهم بعبادة الله وحده، وينهاهم عن عباد ما سواه من الطواغيت، وهذه هي معنى كلمة التوحيد" لا إله إلا الله" لأنها مركبة من نفي وإثبات، فنفيها هو خلع جميع المعبودات غير الله تعالى في جميع أنواع العبادات، وإثباتها هو إفراده سبحانه وتعالى بجميع أنواع العبادات، لكن الأمم التي بعث الله فيها الرسل بالتوحيد منهم شقي وسعيد، فالشقي منهم يسبق عليه الكتاب فيكذب الرسل ويكفر بما جاءوا به من الدعوة إلى التوحيد، أما السعيد منهم فيهديه الله إلى اتباع ما جاءت به الرسل من الدعوة إلى التوحيد.[22]

ومن النصوص الدالة على أن جميع الأنبياء دعوا قومهم إلى التوحيد؛ قول الله تعالى: **لقدْ** أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ، وقوله تعالى: **(**وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ)، وقوله تعالى: (وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ)، وقوله تعالى: (وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ).[23]

فلذلك فإنه من المستحيل توحيد الناس واتفاقهم على غير العقيدة والتوحيد، لذلك فالباحث يدعو رؤساء الفرق الدينية أن ينظروا إلى هذا الأصل بعين البصيرة، وأن يبذلوا قصارى جهدهم كي يوحدوا المسلمين ويجمعوهم على اعتقاد واحد، ومنهج واحد في فهم نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

المبحث الثاني: الإيمان ودوره في معالجة الخلاف بين المسلمين.

إن للإيمان دور فعال في معالجة الخلافات بين المسلمين، كما أن له أهمية كبرى في توحيد كلمة المسلمين، فعندما يعرف المؤمنون بأنهم آمنوا برب واحد قد تزول عنهم بعض الخلافات الجانبية التي لا تخرج المسلم عن دائرة الإيمان.

المطلب الأول: أسس الإيمان.

فأسس الإيمان هي: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر: خيره، وشره، وقد دلَّ على هذه الأسس كتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

أما في القرآن فقوله تعالى: (لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ)،[24] وقوله تعالى: (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ).[25]

ومن السنة قول النبي صلى الله عليه وسلم مجيبا لجبريل عندما سأله عن الإيمان، فقال: "أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره".[26]

فالإيمان بالله هو الأساس الأول من أسس العقيدة، والمراد به: هو العلم والتصديق والإقرار والاعتماد الجازم بأن الله موجود، وأنه واحد في أفعاله، واحد في عبادته، واحد في أسمائه وصفاته.[27]

وقد أشارت النصوص إلى وجوب الإيمان بوجود الله وأن ذلك أمر جبلي غرزه الله تعالى في نفوس البشرية منذ أن خلق الله آدم عليه السلام، أخذ منه ومن ذريته العهد والميثاق بأن يشهدوا أنه ربهم ومعبودهم الحق، [31]كما قال تعالى: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ).[28]

تناولت هذه الآيات الكريمة قضية التوحيد من زاوية الفطرة التي فطر الله عليها البشر وأخذ بها عليهم الميثاق في ذات أنفسهم، وذات تكوينهم.

فالاعتراف بربوبية الله وحده فطرة في الكيان البشري، أودعها الخالق في نفوس المخلوقات، أما الرسالات فتذكير وتحذير للمنحرفين عن فطرتهم الأولى فيحتاجون إلى التذكير والتحذير، وذلك لأن التوحيد ميثاق معقود بين فطرة البشر وخالق البشر منذ كينونتهم الأولى، فلا حجة لهم في نقض الميثاق، حتى لو لم يبعث إليهم الرسل يذكرونهم ويحذرونهم، ولكن رحمته وحدها اقتضت ألا يكلهم إلى فطرتهم هذه فقد تنحرف، وألا يكلهم كذلك إلى عقولهم التي أعطاها لهم فقد تضل، فبعث إليهم رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل.[29]

فالإيمان بوجود الله تعالى إذا أمر جبلي أودعه الله في نفوس الخلائق، وأشهر من عرف تجاهله، وتظاهره بإنكار الصانع هو فرعون، وقد كان مستيقناً به في الباطن؛ كما قال له موسى عليه السلام: (قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا).[30]

ومما يدل على أن الإيمان بوجود الخالق أمر جبلي ما روي أن مجموعة من الملاحدة سألوا أحد الأئمة: (ما الدلالة على وجود الصانع، فقال لهم: دعوني فخاطري مشغول بأمر غريب، قالوا: ما هو؟ قال: بلغني أن في دجلة سفينة عظيمة مملوءة من أصناف الأمتعة العجيبة؛ وهي ذاهبة وراجعة من غير أحد يحركها ولا يقوم عليها، فقالوا له: أمجنون أنت؟ قال وما ذاك؟ قالوا: أهذا يصدقه عاقل؟ فقال: فكيف صدقت عقولكم أن هذا العالم بما فيه من الأنواع والأصناف العجيبة وهذا الفلك يجري وتحدث هذه الحوادث وتتحرك هذه المتحركات بغير محدث أو محرك؟ فرجعوا على أنفسهم بالملام).[31]

فمن الآيات القرآنية الدالة على وجود الله تعالى ووجوب الإيمان به الآيات الآتية، قال تعالى: (قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)،[32] وقال أيضا: (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ)، وقال أيضا: (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ)،[33] وقال أيضا: (أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ)،[34] وقال أيضا: (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ).[35]
والآيات في التوحيد كثيرة جدا لا يسع المجال ذكرها، بل يمكن أن يقول الباحث قولا كليا إن كل آية في القرآن متضمنة للتوحيد شاهدة به وداعية إليه.

وقد أشار إلى ذلك الإمام ابن القيم، حيث قال: (فإن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله فهو التوحيد العلمي الخبري وإما دعوة إلى عبادته وخلع كل ما يعبد من دونه فهو التوحيد الإرادي الطلبي وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته في نهيه وأمره فهي حقوق التوحيد ومكملاته وإما خبر عن كرامة الله لأهل توحيده وطاعته وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة فهو جزاء توحيده وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال وما يحل بهم في العقبى من العذاب فهو خبر عمن خرج عن حكم التوحيد فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم).[36]

وقد أشارت السنة النبوية إلى أن كل مولود يولد على فطرة الإسلام، روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء؟"[37] ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه: (فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا).[38]

ومن الأحاديث أيضا قول النبي صلى الله عليه وسلم، ذات يوم في خطبته: " ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم، مما علمني يومي هذا، كل مال نحلته عبدا حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا.[39]

فهذه النصوص من القرآن والسنة كلها تشير إلى الإيمان بالله أمر جبلي أودعه الله في نفوس عباده، فكل فطرة سليمة تؤمن بضرورة وجود الصانع، حتى وإن غفلت في حال السرور والفرح فلا شك أن الشعور بالصانع ينبعث عنها في حال البأساء والضراء، فالإيمان بالله لا يحتاج إلى الدليل من الكتاب أو السنة، بل هو أمر مسلم فيه عند كل ذي فطرة سليمة.

المطلب الثاني: دور الإيمان في معالجة الخلاف بين المسلمين.

إن الإيمان السليم والاعتقاد الصحيح بوحدانية الله تعالى هو أهم ما يوحد صفوف الأمة الإسلامية، وذلك لأنه من المسائل التي لم يختلف فيها أحد من المسلمين وليس في فهم ذلك نزاع أو خلاف في قطعيته، فكل فرقة من فرق الإسلام تؤمن بوحدانية الله وربوبيته.

فالله سبحانه وتعالى لا يريد منا الخلاف؛ لذلك أمرنا أن نعبده وحده، ولو أراد منا الخلاف لجعل لكل مدينة، أو دولة، أو قارة إله يعبده أهلها، فكثير من رؤساء الفرق لا يثيرون إلا المسائل الخلافية على المنابر الدعوية، ولا يتطرقون إلى المسائل العقدية التي تجتمع عليها جميع الفرق، مثل: أركان الإيمان وغيرها من المسائل التي لا خلاف فيها بين جميع الفرق.

فقد أخبرنا الله تعالى في القرآن بأن وحدة الأمة والإيمان الصحيح لا يفترقان حيث قال في كتابه العزيز: (إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ)،[40] وقال أيضا في آية أخرى: (وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ).[41]

لما ذكر الله قصص الرسل في سورة الأنبياء عاقب بهذه الآية التي تشير إلى أن هؤلاء الرسل المذكورون هم أمتكم وأئمتكم الذين بهم تأتمون، وبهديهم تقتدون، كلهم على دين واحد، وصراط واحد، ورب واحد، فأنا الذي خلقتكم، وربيتكم بنعمتي، في الدين والدنيا، فإذا كان الرب واحدا، والنبي واحدا، والدين واحدا، وهو عبادة الله، وحده لا شريك له، بجميع أنواع العبادة كان وظيفتكم والواجبة عليكم، القيام بها، وكان اللائق بكم الاجتماع على هذا الأمر، وعدم التفرق فيه.[42]

أي إن هذه ملة التوحيد والاستسلام لمعبود واحد لا شريك له هي أمتكم أي ملتكم التي يجب أن تحافظوا على حدودها وتراعوا حقوقها، والخطاب هنا للناس كافة أمة واحدة أي غير مختلفة، أي أن جميع الأنبياء ورسل الله على ملة واحدة ودين واحد، وأنا ربكم، أي لا إله لكم غيري فاعبدون أي ولا تشركوا بي شيئا، إن الأمة هنا بمعنى الملة، وهو الدين المجتمع عليه، كما في قول الله تعالى: (بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ)[43] أي على دين يجتمع عليه.[44]

فالآية الثانية أيضا تشير إلى نفس المعنى مثل الآية الأولى إلا أن الخطاب فيها موجه إلى الرسل، أي دعوتكم أيها الأنبياء المذكورين إجمالاً وتفصيلاً وملتكم المجتمعة على التوحيد أو الجماعة التي أنجيتها معكم من المؤمنين هي ملتكم ومقصدكم الذي ينبغي أن لا توجهوا هممكم إلى غيره أو جماعة أتباعكم حال كونها أمة واحدة لا شتات فيها أصلاً، فما دامت متوحدة فهي مرضية وأنا ربكم المحسن إليكم بالخلق والرزق وحدي، فمن وحدني نجا، ومن كثر الأرباب هلك.[45]

استنتج الباحث من هاتين الآيتين ما يأتي:

1- إن الإيمان الصحيح والاعتقاد السليم لا ينفك عن الوحدة كما أشار الله إلى ذلك في الآيتين الكريمين.

2- إن الله سبحانه وتعالى قدم وحدة الأمة على التوحيد في الآيتين للدلالة على علو منزلتها.

3- إن جميع الرسل كانوا على ملة واحدة ودين واحد وهي ملة التوحيد وكلهم دعاة إلى الوحدة وعدم التفرق.

4- إن العبادة تكون بعد إقامة الوحدة كما أشارت الآيتان، فإذا كان الناس متشتتون ومتفرقون فإنه يصعب عليهم القيام بواجبات دينهم.

5- إن الأغلبية من الفرق الإسلامية تجتمع على ما يزيد على خمس وتسعين في المائة من عقائدها وأصول دينها.

6- إن كثيرا من الدعاة والخطباء الذين يثيرون المسائل الخلافية بين المسمين يضلون عوام الناس بأهوائهم، ولو أنهم يتكلمون في المسائل المتفق عليها بين جميع الفرق لاجتمع الناس كلهم، ولزال التفرق والخلافات بينهم.

7- يجب على كل من آمن بالله ورسله أن يبذل قصارى جهده في السعي إلى توحيد الأمة وألا يكون سببا لتفريق الأمة وتشتيت صفوفها.

المبحث الثالث: القرآن الكريم ودوره في توحيد الأمة ومعالجة الخلاف بين المسلمين.

لا يصلح إيمان المسلم إلا بعد الإيمان بالقرآن الكريم وجميع الكتب المنزلة من عند الله على رسله عليهم الصلاة والسلام، فعلى المسلمين أن يتمسكوا بهذا الحبل المتين الذي يحثهم على الوحدة ويمنعهم من الفرقة والاختلاف، وفي هذا المبحث يتناول الباحث تعريف القرآن، ودوره في معالجة الخلاف وحرصه في توحيد كلمة المسلمين.

المطلب الأول: تعريف القرآن في اللغة.

اختلف العلماء في تعريف لفظ (القرآن) في اللغة، فذهب طائفة منهم إلى أن هذا اللفظ غير مشتق ولا مهموز، بل هو اسم مرتجل وضع في الأصل لهذا الكتاب الكريم.

يقول الإمام الشافعي والإمام ابن كثير: إن لفظ (القرآن) المعرف ب(ال) ليس مشتقا ولا مهموزا، بل ارتجل ووضع علما على الكلام المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم، فـ(القرآن) عند الشافعي لم يؤخذ من قرأت، ولو أخذ منه لكان كل ما قرئ قرآنا، ولكنه مثل لفظ (التوراة) و(الإنجيل).[46]

ويقول الفراء: إن لفظ القرآن: مشتق من القرائن جمع قرينة، لأن آياته يشبه بعضها بعضا، فكأن بعضها قرينة على بعض، وواضح أن النون في قرائن أصلية، أما الفريق الثاني فقد ذهبوا إلى أن لفظ (القرآن) مشتق ومهموز، يقول الإمام الزجاج: إن لفظ (القرآن) مهموز على وزن فعلان، مشتق من القرء بمعنى الجمع، ومنه قرأ الماء في الحوض إذا جمعه، لأنه جمع ثمرات الكتب السابقة.[47]

ويقول اللحياني: إنه مصدر مهموز بوزن الغفران، مشتق من قرأ بمعنى تلا، سمي به المقروء تسمية للمفعول بالمصدر.[48]

استنتج الباحث مما سبق بأنه لا تعارض بين القولين، بل يمكن الجمع بينهما، فالقرآن في اللغة مصدر مرادف للقراءة، كما قال الله تعالى: (إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ) ، [49] ثم انتقل من هذا المعنى المصدري إلى اسم علم للكتاب المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم مثل باقي الكتب المنزلة على بقية الرسل كالتورية والإنجيل والزبور.

المطلب الثاني: تعريف القرآن في الاصطلاح.

إن القرآن الكريم يصعب تحديده بالتعريف، ولذلك اختلف العلماء في تعريفه اصطلاحا، فمن العلماء من أطال في التعريف ومنهم من أطنب ومنهم من أوجز واختصر.

قال بعض العلماء: القرآن: هو كتاب الله عز وجل المنزل على خاتم أنبيائه محمد صلى الله عليه وسلم بلفظه ومعناه، المنقول بالتواتر المفيد للقطع واليقين المكتوب في المصاحف من أول سورة «الفاتحة» إلى آخر سورة «الناس».[50]

وذهب بعض العلماء إلى حصر تعريف القرآن على الإنزال والإعجاز فقط، فقالوا: القرآن هو الكلام المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم، المعجز.[51]

والتعريف المختار للقرآن في الاصطلاح: هو اللفظ العربي المعجز، الموحى به إلى محمد صلّى الله عليه وسلّم بواسطة جبريل عليه السلام، وهو المنقول بالتواتر، المكتوب في المصحف، المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة، والمختوم بسورة الناس.[52]

واختار الباحث هذا التعريف لأنه تعريف جامع ومانع، لأنه اشتمل على جميع العناصر التي تميز القرآن الكريم عن غيره من الكتب السماوية، والقراءات الشاذة، والحديث القدسي، والحديث النبوي، والترجمة الحرفية وغير الحرفية للقرآن الكريم.

وهذه العناصر هي كالآتي:

1- اللفظ العربي المعجز، خرج به القرآن المترجم إلى بعض اللغات.

2- الموحى به إلى النبي صلى الله عليه وسلم بواسطة جبريل، خرج به جميع الكتب المنزلة على بقية الرسل.

3- المتعبد بتلاوته، خرج به الأحاديث القدسية والأحاديث النبوية.

4- المنقول بالتواتر، والمكتوب في المصاحف، خرج به القراءات الشاذة.

المطلب الثالث: دور القرآن في معالجة الخلاف بين المسلمين.

إن جميع الكتب السماوية لا تنزل إلا والناس على حالة انقسام واختلاف فيما بينهم، كما أشار القرآن في كثير من الآيات إلى أن الله سبحانه وتعالى أنزل القرآن الكريم لمعالجة الخلاف بين المسلمين ولكي يكون حكما بينهم فيما اختلفوا فيه.

وهذا الذي يقرره القرآن في أمر الكتاب هو النظرية الإسلامية الصحيحة في خط سير الأديان والعقائد، كل نبي جاء بهذا الدين الواحد في أصله، يقوم على القاعدة الأصيلة؛ ألا وهي: قاعدة التوحيد المطلق، ثم يقع الانحراف عقب كل رسالة، وتتراكم الخرافات والأساطير، حتى يبعد الناس نهائياً عن ذلك الأصل الكبير، وهنا تجيء رسالة جديدة تجدد العقيدة الأصيلة، وتنفي ما علق بها من الانحرافات والاختلافات، وتراعي أحوال الأمة وأطوارها في التفصيلات.[53]

ومن الآيات القرآنية الدالة على ذلك قول الله تعالى: (كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ)،[54] أي كانوا على الإيمان والفطرة المستقيمة فاختلفوا وتنازعوا فبعث الله الأنبياء لهداية الناس مبشرين للمؤمنين بجنات النعيم ومنذرين للكافرين بعذاب الجحيم وأنزل معهم الكتب السماوية لهداية البشرية حال كونها منزلة بين الناس في أمر الدين الذي اختلفوا فيه.[55]

إن من طبيعة الناس أن يختلفوا لأن هذا الاختلاف أصل من أصول خلقتهم، إلا أن هذا الاختلاف لا بد أن يكون في الاستعدادات والوظائف ينشئ بدوره اختلافاً في التصورات والاهتمامات والمناهج والطرائق، ولكن الله يحب أن تبقى هذه الاختلافات الواقعة داخل إطار واسع عريض يسعها جميعاً حين تصلح وتستقيم، هذا الإطار هو إطار التصور الإيماني الصحيح، الذي ينفسح حتى يضم جوانحه على شتى الاستعدادات وشتى المواهب وشتى الطاقات، ومن ثم لم يكن بد أن يكون هناك ميزان ثابت يفيء إليه المختلفون وحكم عدل يرجع إليه المختصمون وقول فصل ينتهي عنده الجدل، ويثوب الجميع منه إلى اليقين، وهذا القول هو القرآن، الحكم العدل، والقول الفصل، فيما عداه من أقوال الناس وتصوراتهم ومناهجهم وقيمهم وموازينهم، وبغير هذا الحق الواحد الذي لا يتعدد وبغير تحكيمه في كل ما يختلف فيه الناس، بغير هذا كله لا يستقيم أمر هذه الحياة ولا ينتهي الناس من الخلاف والفرقة ولا يقوم على الأرض السلام ولا يدخل الناس في السلم بحال.[56]

فكل هذا يدل على أن القرآن هو المرجع والمآل عند الاختلاف، وبما أن جميع الفرق الإسلامية الموجودة في شمال نيجيريا تؤمن بالقرآن فإنه يسهل عليهم أن يتفقوا في جميع المسائل الخلافية وذلك لأن هذا القرآن الذي آمنوا به أُنزل لمعالجة الخلافات والمنازعات بين الناس في فروع الدين.

وقد ثبت في السنة أن عثمان بن عفان جمع الناس على المصحف العثماني لمعالجة الخلاف والنزاع بين المسلمين في القراءات، لذلك أمر بنسخ القرآن إلى الرسم العثماني وإرساله إلى جميع المدن كي يكون مصحفا رسميا لجميع المسلمين، وإحراق جميع النسخ خوفا من أن يختلف الناس في القرآن.

ثبت أن الحذيفة اليماني، قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشأم في فتح أرمينية، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين، أدرك هذه الأمة، قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة: أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف، ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف، رد عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف، أن يحرق.[57]

وبالخلاصة يمكن أن يستنتج الباحث مما سبق الأوجه التي عالج فيها القرآن الخلاف بين المسلمين في النقاط التالية:

1- كون القرآن هو المصدر الأول الوحيد لجميع المسلمين أينما كانوا، بحيث لم ينزل الله قرآن خاص لكل بلدة أو دولة أو قارة مثلا، وهذا يدل على أن الله سبحانه وتعالى يريد لهذه الأمة أن تتحد تحت إطار واحد.

2- إنزال هذا القرآن بلغة واحدة، ألا وهي اللغة العربية، بحيث يلزم جميع المسلمين مع اختلاف أجناسهم وأعراقهم أن يقرؤوا هذا القرآن باللغة العربية.

3- نسخ هذا القرآن بالخط العثماني، وإرسال هذه النسخة إلى جميع المدن بحيث يكون هذا النسخ هو المصحف الرسمي لجميع المسلمين، مع جواز قراءته بجميع القراءات العشر المتواترة التي توافق هذا الرسم العثماني، وذلك كي لا يختلفوا في قراءة القرآن الكريم.

4- كون هذا القرآن هو المرجع والمآل لجميع المسلمين عند وجود أي خلاف أو شقاق فيما بينهم.

5- تسهيل حفظ هذا القرآن في الصدور، فقد يسر الله حفظه كما أخبر بذلك في قوله تعالى: (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ)،[58] لذلك حفظه خلق لا يحصر بحيث لا يمكن لأي واحد أن يغير شيئا منه كما حدث ذلك لبقية الكتب السابقة فاختلفوا فيه بعد التغيير، وهذا تصديقا لوعد الله سبحانه وتعالى في حفظ هذا القرآن حيث قال: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ).[59]

النتائج والتوصيات:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وفي ختام هذا البحث المتواضع توصل الباحث إلى مجموعة من النتائج ومنها ما يأتي:

1- إن الإيمان الصحيح والاعتقاد السليم لا ينفك عن الوحدة كما أشار الله إلى ذلك في القرآن الكريم، وأن الله سبحانه وتعالى قدم وحدة الأمة على التوحيد في الآيتين للدلالة على علو منزلتها.

2- إن جميع الرسل كانوا على ملة واحدة ودين واحد وهي ملة التوحيد وكلهم دعاة إلى الوحدة وعدم التفرق.

3- إن العبادة تكون بعد إقامة الوحدة، فإذا كان الناس متشتتون ومتفرقون فإنه يصعب عليهم القيام بواجبات دينهم.

4- إن الأغلبية من الفرق الإسلامية تجتمع على ما يزيد على خمس وتسعين في المئة من عقائدها وأصول دينها.

5- إن كثيرا من الدعاة والخطباء الذين يثيرون المسائل الخلافية بين المسلمين يضلون عوام الناس بأهوائهم، ولو أنهم يتكلمون في المسائل المتفق عليها بين جميع الفرق لاجتمع الناس كلهم، ولزال التفرق والخلافات بينهم.

6- من الأوجه التي عالج فيها القرآن الخلاف بين المسلمين كون القرآن هو المصدر الأول الوحيد لجميع المسلمين أينما كانوا، بحيث لم ينزل الله قرآن خاص لكل بلدة أو دولة أو قارة مثلا، وهذا يدل على أن الله سبحانه وتعالى يريد لهذه الأمة أن تتحد تحت إطار واحد، وإنزاله بلغة واحدة، بحيث يلزم جميع المسلمين مع اختلاف أجناسهم وأعراقهم، ونسخه بالخط العثماني، وإرسال هذه النسخة إلى جميع المدن بحيث يكون هذا النسخ هو المصحف الرسمي لجميع المسلمين، مع جواز قراءته بجميع القراءات العشر المتواترة التي توافق هذا الرسم العثماني، وذلك كي لا يختلفوا في قراءة القرآن الكريم.

التوصيات:

يوصي هذا البحث إلى تطبيق نتائجه في الواقع المعاصر، وإلى الكتابة في الموضوعات التالية:

1- أساليب القرآن الكريم في معالجة الخلاف بين المسلمين في العبادات.

2- أساليب القرآن الكريم في معالجة الخلاف بين المسلمين في المعاملات.

3- آيات نبذ الخلاف والشقاق في السياق القرآني.

قائمة الهوامش، والمصادر والمراجع:

[1]- سورة آل عمران، 103.

[2]- غازي حسين عناية، مناهج البحث، ط1، د.م: دار الجليل، 1993م، ص: 80-81.

[3]- عبدالرحمن بدوي، مناهج البحث العلمي، ط3، الكويت: وكالة المطبوعات، 1977م، ص18.

[4]- عبد الغني ادراعو، وحدة الأمة الإسلامية-الأسباب والآثار والمعوقات كما بينا القرآن الكريم، ط1، ماليزيا: جامعة المدينة العالمية، 2014م، ص9.

[5]- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 2000م، ص21.

[6]- سورة الروم 31-32.

[7]- ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، ط1، بيروت: دار صادر، (د.ت) ، ج3، ص413.

[8]- سورة المائدة 1.

[9]- سورة المائدة 89.

[10]- سورة البقرة 235.

[11] - ابن فارس، أحمد بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، د.ط، بيروت: دار الفكر، 1979م، ج4، ص86-87.

[12]- الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، ط1، بيروت: دار القلم، 1412ه، ص341.

[13]- مرتضى الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق، تاج العروس من جواهر القاموس، د.ط، بيروت: دار الهداية، د.ت، ج8، ص394.

[14]- البريكان، إبراهيم بن محمد، المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، ط1، الرياض: دار ابن القيم، 2003م، ص9. [15]- لأثري، عبد الله بن عبد الحميد، الوجيز في عقيدة السلف الصالح، ط1، السعودية: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة، 1322ه، ص24.

[16] - محمد بن إبراهيم الحمد، مختصر عقيدة أهل السنة والجماعة، د.ط، د.م: د.ن، د.ت، ص2.

[17]- حياة بن محمد بن جبريل، الآثار الواردة عن عمر بن عبد العزيز في العقيدة، ط1، المدينة المنورة: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، 2002م، ص46.

[18] - السعوي، محمد بن عودة، رسالة في أسس العقيدة، ط1، السعودية: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة، 1425ه، ص6.

[19]- أحمد بن محمد بن حنبل، المسند، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، ت: الأرناؤوط، 2001م، ج37، ص172، رقم الحديث: (22498).

[20]- سورة النحل 36.

[21] - الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، د.ط، بيروت: دار الفكر، 1995م، ج2، ص374-375.

[22]- سورة الأعراف 59، 65، 73، 85.

[23]- سورة البقرة 177.

[24]- سورة القمر 49-50.

[25]- مسلم بن الحجاج القشيري، المسند الصحيح، د.ط، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت، ج1، ص36، رقم الحديث: (8).

[26] - السعوي، محمد بن عودة، رسالة في أسس العقيدة، ط1، السعودية: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة، 1425ه، ص4.

[27]- علوي بن عبد القادر السقاف، الموسوعة العقدية، د.ط، د.م: موقع الدرر السنية، 1433ه، ج1، ص153.

[28]- سورة الأعراف 172-174.

[29]- سيد قطب، إبراهيم حسين الشاربي، في ظلال القرآن، ط17، بيروت: دار الشروق، 1412ه، ج3، ص1391.

[30]- سورة الإسراء 102.

[31] - ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، درء تعارض العقل والنقل، ط2، السعودية: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1991م، ج3، ص127.

[32]- سورة إبراهيم 10.

[33]- سورة الزخرف 87، 9.

[34]- سورة الطور 35-36.

[35]- سورة العنكبوت 63.

[36]- ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ط2، بيروت: دار الكتب العربي، 1996م، ج3، ص450.

[37] - البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، ط1، بيروت: دار طوق النجاة، 1422هـ، ج2، ص94، رقم الحديث: (1358).

[38]- سورة الروم 30.

[39]- مسلم بن الحجاج القشيري، المسند الصحيح، د.ط، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت، ج4، ص2197، رقم الحديث: (2865).

[40]- سورة الأنبياء 92.

[41]- سورة المؤمنون 52.

[42]- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 2000م، ص530.

[43]- سورة الزخرف 22.

[44] - القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق، محاسن التأويل، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1418ه، ج7، ص221.

[45]- البقاعي، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، د.ط، بيروت: دار الكتب العلمية، 1995م، ج13، ص155.

[46]- بن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، ط1، بيروت: دار صادر، 1414ه، مادة (قرأ) ج1، ص129.

[47]- أبو شهبة، محمد بن محمد بن سويلم، المدخل لدراسة القرآن الكريم، ط2، القاهرة: مكتبة السنة، 2003م، ج1، ص20.

[48]- وفهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، دراسات في علوم القرآن، ط12، د.م: د.ن، 2003م، ج1، ص18.

[49]- صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، ط24، بيروت: دار العلم للملايين، 2000م، ج1، ص19.

[50]- سورة القيامة 17-19.

[51]- أبو شهبة، محمد بن محمد بن سويلم، المدخل لدراسة القرآن الكريم، ط2، القاهرة: مكتبة السنة، 2003م، ج1، ص8، 21.

[52]- مصطفى ديب البغا، محي الدين ديب مستو، الواضح في علوم القرآن، ط2، دمشق: دار العلوم الإنسانية، 1998م، ج1، ص15.

[53]- سيد قطب، إبراهيم حسين الشاربي، في ظلال القرآن، ط17، بيروت: دار الشروق، 1412ه، ج3، ص216.

[54]- سورة البقرة 213.

[55]- الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، ط1، القاهرة: دار الصابوني، 1997م، ج1، ص122.

[56]- سيد قطب، إبراهيم حسين الشاربي، في ظلال القرآن، ط17، بيروت: دار الشروق، 1412ه، ج3، ص215-216.

[57]- البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، ط1، بيروت: دار طوق النجاة، 1422هـ، ج6، ص173، رقم الحديث: (4981).

[58]- سورة القمر 17.

[59]- سورة الحجر 9.